عود منير بشير

تحلّ هذا الشهر الذكرى الـ23 لرحيل عازف العود العراقي الشهير، منير بشير، الذي أعيدت تجربته إلى الواجهة في الغرب، مع ورقة بحثية جديدة رصدت وحلّلت سيرة بشير وموسيقاه كظاهرة فنية موسيقية تُجسّد تمدد الحداثة نحو وجهات غير تقليدية

حافظ على أسلوبه الخاص الذي كوّنه بوعي عميق (شيبرد شيربيك/Getty)

رحلة الجهات الخمس

علي موره لي

ورقة بحثية قيّمة سبق وأعدتها المؤلفة الموسيقية والعازفة والأكاديمية البريطانية ريتشل بيكلز ويلسون Rachel Beckles Willson نشرتها «المجلة الدولية للتاريخ والثقافة والحداثة» بعنوان «سماع الحداثة الكونية؛ قضية العود المُسافر». تناولت ويلسون تمثيلات آلة العود ضمن السياقات الثقافية - السياسية الغربية وتحوّلات الرؤى المابعد - كولونيالية إزاء مفهوم الحداثة، وذلك من خلال سيرة الراحل، عازف العود والمؤلف العراقي منير بشير. إذ شاءت الأقدار أن يكون يوم ميلاده عام 1930 هو نفسه يوم رحيله سنة 1997، أي 28 أيلول/سبتمبر. تحدثت ويلسون في معرض الورقة عن «حُراس البوابات» Gatekeepers، أي أولئك الغربيين الذين رصدوا بشير كظاهرة فنية موسيقية تُجسّد تمدد الحداثة، بفعل الكولونيالية وإرث ما بعدها، إلى خارج حدود المجال اليورو - أميركي. هكذا آثروا «استقدامه» إلى خشبات المسارح الغربية، مسوّقين أنموذجاً للموسيقي العربي الحداثي الذي بمقدوره، بعوده وحضوره، أن يوسّع المدارك الصوتية لدى المستمع الغربي، فيتلمّس الأخير الحداثةَ وقد تعولمت لتغدو أشمل تمثيلاً، وبالتالي، أحدثَ حداثة. من بين أولئك الحراس الدنماركي بول روفزينغ أولسن Paul Rovsing Olsen وهو مؤلفٌ وباحث في علم الموسيقى الإثني (الإثنوموزيكولوجي) وجامع للتراث الدنماركي. رأى أولسن في صوت عود بشير مُحرّضاً ومُحفّزاً يُخرج الأذن الغربية من عزلتها النرجسية، يحثّها على الانفتاح على عوالم صوتية تتجاوز فسحة الراحة التي سبق لها وأن ألفتها واعتادت الإنصات داخل نطاقها. اللافت في موقف أولسن، الاستثنائي ضمن بطانة العلماء والباحثين الغربيين، أنه لم ينظر إلى موسيقى بشير على أنها استحضارٌ للقديم بقدر ما أنها نافذة مُشرعة على المستقبل.

> صوت عود بشير مُحرِّضٌ يُخرج الأذن الغربية من عزلتها النرجسية

نحو الذات

من الموصل ثم بغداد انطلقت رحلة عود منير بشير الاستكشافية في وجهات الأرض الأربع. شرقاً إلى فارس والهند. غرباً جهة بيروت الشام فالأندلس. شمالاً نحو الأناضول والبلقان ووسط أوروبا. جنوباً جهة البصرة والكوفة والخليج العربي. بيد أنه كان لرحلة بشير وجهة أخرى خامسة هي الذات. من ذاته أبحر بشير عبر مضيق مقبض عوده إلى ذات الآخر. صانعاً هويته الفردية الخاصة. صاهراً، داخل قمرة عوده العاري، كلا من المحلية والعالمية في البشيرية.

بحسب كاتبة الورقة، أي ويلسون، فإن أولسن بسياق حديث له عن أول أسطوانة أصدرها بشير كعازف عود منفرد، كان قد أشاد بـ«عصرية» عود بشير وبخروجه عن مدرسة العود العراقية التقليدية. حيث قال: «إنتاج منير بشير مثال باهر على موسيقى عربية من اختراع موسيقي عربي مُلمّ بموروثه أدق إلمام، فيما يحاول أن يشق له دروبا جديدة تبقيه حياً».

لا شكّ في أن مقاربة كتلك تصدر عن باحث غربي لهي على درجة من العمق والانفتاح طالما قلّ نظيرهما؛ إذ عادة ما تُحيل مقاربات الغرب لموسيقى الآخر، أوتوماتيكياً، إلى عينات محلية صرفة، غايتها تمثيل البشرية على ما كانت عليه قبل الحداثة، كيف كوّنت الأمس، لا كيف تكون اليوم وتكوّن لنا الغد.

من العدل أن يُشار إلى عوامل سياسية واقتصادية أسهمت في تأصيل تلك النظرة الاستيعابية التي سعت إلى إدماج فنانين من مجتمعات ما بعد الكولونيالية، كبشير وعازف السيتار الهندي رافي شنكار (1920-2012)، ضمن حداثة أُريد لها في سبعينيات القرن الماضي أن تكون كونية، بغية فتح الكوكب إما أمام عقيدة الاشتراكية جهة اليسار، أو أمام الدمقرطة وحرية حركة رأس المال جهة اليمين، تمهيداً لما سيُعرف فيما بعد الحرب الباردة بالعولمة. ومن المنطقي ضمن السياق ذاته، وإن بإسقاطٍ جازم على الراهن، أن يندر اليوم سماع مواقف مشابهة أو تبني رؤى مماثلة، في زمن يشهد ردّة إزاء العولمة وإرهاصاتها. فتُغلّب مواقف أكثر محافظةً من العالمية ورؤى أشد ضيقاً حيال الحداثة.

بيد أن السبب الأول والأبرز في أن يصدر هكذا رأي حيال منير بشير عن باحث موسيقي غربي كأولسن إنما يظل هو منير بشير نفسه. إذ لم يكن الأخير أول من استضافته المسارح الغربية ليُمثّل ثقافة «الآخر». قد سبق لعدد من الموسيقيين العرب، وحتى عازفي الآلات منهم، كأمير الكمان المصري من أصل سوري سامي الشوا (1885ـ 1965)، وحتى مدرس منير بشير، ومؤسس مدرسة العود العراقية الشريف محيي الدين حيدر (1892 . 1967) أن أحيوا الحفلات في العواصم الكوزموبوليتية الغربية كباريس وبرلين ونيويورك.

إلا أن بشير كان أول من اعتلى الخشبة الأوروبية مُمثلاً للحداثة بمعناها الإنساني الشامل والعريض؛ بصفته نائباً عن العالمية يعزف مقام العجم والراست والكرد على عود صُنع في بغداد. إذ أن انفتاحه على موسيقى «الآخر» القريب والبعيد وعدم اكتفائه بانفتاح «الآخر» عليه لهو أبرز ما ميّز منير بشير عن مجايليه. انفتاح لم يكن يوماً افتتاناً أو تماهياً، بل ظل توازناً بين العود الشرقي بوصفه المهد والميناء والمرسى، وبين الإبحار بفضول فكري وشجاعة فنية على متن رحلات استقصائية استكشافية جاب بها موسيقات الأرض.

كان لابتعاثه إلى المجر بُغية دراسة التأليف الموسيقي الأثر العميق، من جهة، في فهم الأصول العلمية للموسيقى الكلاسيكية الأوروبية، ومن جهة ثانية، التعرف إلى التجربة الهنغارية على وجه الخصوص في جمعها وتأصيلها موسيقى الشعوب والإثنيات على تنوعها واختلافها بغية صناعة هوية موسيقية وطنية جامعة تُحسن العبور نحو العالمية، بمواهب ومجهودات موسيقيين وباحثين كبار كبيلا بارتوك (1881 ـ 1945) وسولتان كودالي (1882 . 1967).

قابل بشير بين التجربة المجرية مطلع القرن إزاء التنوع الإثني - الثقافي الهائل لمنطقة شرق ووسط أوروبا، مع ذات التنوع في مسقط رأسه الموصل شمالي العراق. إذ كيف لأحدهم وقد كبر في إقليم يعج بالأديان والطوائف واللغات، من عربية، وكردية، وسريانية، وأرمنية، وتركية ألا يُجيد العزف سوى بأسلوب واحد ولغة صوتية واحدة؟ وكأني به يضرب ريشته على واحدٍ من أوتار عوده كل الوقت مُتجاهلاً الخمسة الباقية.

محطة أخرى على طريق الكشف ذهبت به إلى الهند التي تمثّل بفلسفتها وفنونها امتداداً ثقافياً يكاد أن يكون طبيعياً لآسيا الشرق أوسطية. هناك تزامن رمزٌ حداثي آخر كان قد نبت في تربة محلية ثم أزهر في بيئة العالمية ألا وهو رافي شنكار، أسطورة آلة السيتار الهندية التي تجمعها بالعود صلة القرابة الوترية واستعمال الريشة في العزف.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

إنتاجات

بعد نصف قرن على صدور ألبوم Let it Be، آخر ألبومات **بيتلز** (الصورة)، سيُقدّم كتاب جديد وفيلم وثائقي نظرة أكثر تفصيلاً على الجلسات التي رافقت تسجيل الألبوم، باستخدام لقطات لم تُنشر من قبل وتسجيلات للحفلات.

بيع تاج بلاستيكي، بلغ سعره الأصلي 6 دولارات، بـ594,750 دولاراً، خلال مزاد في نيويورك. ويعود السبب إلى أن مغني الراب الأميركي، نوتوريوس **بي آي جي** (يمين/ الصورة) اعتمره خلال جلسة تصوير، قبل ساعات من اغتياله.

بعد 50 عاماً على وفاة **جيمي هندريكس** (الصورة)، تحتفي طوال هذا الشهر قرية ديابات الصغيرة قرب السواحل الأطلسية في جنوب المغرب بذكرى عازف الغيتار الأسطوري الذي كان له «مرور تاريخي» في المنطقة من خلال نشاطات عدة.

قالت شركة «فيندر» لصناعة الغيتار إنها حققت مبيعات قياسية هذا العام. وتنطبق القاعدة نفسها على العلامات التجارية الأخرى، وشهد التطبيق والموقع الخاصان بتعلم عزف الغيتار Fender Play ارتفاعاً في عدد المستخدمين بسبب العزل المنزلي.

صمّم قائد الأوركسترا المجري **إيفان فيشر** (الصورة) كمامة «موسيقية» لها زائدتان من البلاستيك على هيئة راحة اليد، تُثبَّتان بأربطة الكمامة خلف الأذن، ما يسمح لرواد الحفلات الموسيقية بالاستمتاع بالموسيقى بدرجة أفضل.

فرقة Doves
النظر إلى الماضي بعيون مكسورة

عمر بقبوق

قبل أسبوع، أصدرت فرقة الروك البريطانية Doves، ألبوماً جديداً حمل عنوان The Universal Want، وهو الألبوم الرسمي الخامس في مسيرتها التي مضى على تأسيسها عشرون عاماً، والأول لها منذ عشرة أعوام، أي منذ أن تفككت ليقوم أعضاؤها بتقديم مشاريعهم الفردية. عودة الفرقة لم تكن أمراً متوقعاً، بعدما أنتج جيمي غودوين ألبوماته المستقلة منذ عام 2014، وبعدما أسّس الأخوان جيز وليامز وآندي ويليامز فرقة Black Rivers المنفصلة عام 2015؛ لكن لمّ الشمل حصل بعدما اجتمعت الفرقة بجولة حفلات خيرية العام الماضي، كان نتاجها عبارة عن ألبوم تجميعي حمل عنوان The Best Of Doves. لكن الخطوات المفاجئة ترافق مسيرة الفرقة منذ تأسيسها. إذ انطلقت بشكل غريب عام 2000، عندما قام غودوين والأخوان ويليامز ببنائها على أنقاض فرقتهم السابقة Y2K Britrock التي لازمتهم منذ بداية مشوارهم الفني، وحصدت نجاحاً كبيراً في التسعينيات.

يتكون الألبوم الجديد من 10 أغانٍ رئيسية، تضاف إليها أغنيتا There Goes the Fear و Song M62، في النسخة الموسعة من الألبوم. وقد بدأت عملية التمهيد للإنتاج الجديد على مدار الأشهر الثلاثة الماضية، من خلال طرح ثلاث أغانٍ منفردة تباعاً ابتداءً من Carousels في شهر يونيو/حزيران. ورغم أن هذه الأغنية تحديداً بدت براقة ومفعمة بالحياة والأمل، إلا أنها لا تعكس محتوى الألبوم ككل، إذ يبدو معجوناً بالنوستالجيا والحزن الناجم عن الحنين للماضي؛ وإذا حاولنا أن نصف الألبوم بعبارة مختصرة، فهو ألبوم قائم على أصوات رجال تخطوا الخمسين من عمرهم يرددون ذكريات تعود إلى سن المراهقة.

> تبدّل الروك اليوم وبات مختلفاً عما كان عليه في زمن Doves

تأسست الفرقة عام 2000 (بريجيت انغل/Getty)

يبدو واضحاً كذلك أن عالم موسيقى الروك والبوب تبدلت معالمه اليوم، وباتت مختلفة بشكل ملحوظ عما كانت هي عليه في الزمن الذي تنتمي إليه فرقة Doves؛ ورغم أن جميع أعضاء الفرقة لم ينقطعوا خلال السنوات الماضية عن الإنتاج الموسيقي بشكل فعلي، لكن إعادة تركيب الفرقة من جديد، ولمّ شملها في هذا الوقت بدا التحدي الأصعب الذي نجحت Doves في اجتيازه.

ربما كان خيار العودة إلى الوراء والحفر في الذاكرة للتنقيب عن المشاعر الدفينة خياراً موفقاً، كما هي الحال في استحضار أغاني الفرقة الأكثر شهرة ونجاحاً والأكثر حضوراً في الذاكرة، لتحيلنا إليها بلحظات عابرة في الألحان الجديدة التي ابتكرتها. هذا لا يعني بالضرورة أن Doves بألبومها The Universal Want تمكنت من مجاراة التطورات الطارئة على البوب والروك اليوم، لكنها تمكنت من إيجاد مساحتها الخاصة التي تتمكن فيها من الحضور بشكل فعال في الخريطة الموسيقية لهذه السنة. وهو خيار أفضل من خوض محاولات يائسة لحمل راية معاصرة تضيع فيها هوية الفرقة ضمن المشاريع المستقلة الأخرى التي قامت بتنفيذها على أقل تقدير.

ما يحسب للألبوم أيضاً أنه يسير بنسق عال، خالٍ من الحشو وبإيقاع تصاعدي بلا انقطاع، فيحملك على التركيز في كل لحظة من دون أن يترك مساحات لالتقاط الأنفاس. كما تعطي الغيتارات الكهربائية والأداء الخشن قيمة إضافية للكلمات البسيطة التي لا تتمتع بأي جمالية خاصة، باستثناء بعض الجمل التي تبدو كجمل اعتراضية وصور مشتتة في بعض الأغاني، كما هي الحال في أغنية Broken Eyes، التي تقول كلماتها: «أنا لا يمكنني أن أساعدك إذا كنت لا تشعر بالرضا. أنت تذرف دموعك من عيون مكسورة. من أقصر الليالي وحتى أقصر الأيام المشرقة، لم تنظر إليّ سوى بعيون حادة، عيون مكسورة. ربما لا داع لرسم تلك الابتسامة على وجهي مرة أخرى».